وسائل الإعلام الجديدة وتغير المفاهيم، الأساليب، والوظائف الاتصالية

New media and changing concepts, methods, and communication functions

د.إبراهيم بعزيز
كلية الإعلام/ جامعة الجزائر03

تاريخ الاستلام: 2015/03/01 تاريخ القبول: 2015/04/22 تاريخ النشر: 2015/06/11

ملخص:

من بين أهم ما أفرزته التكنولوجيا الحديثة في مجال الإعلام و الاتصال هو ضرورة تجاوز تلك الثنائية التقليدية " مرسل " و " متلقي" كعنصرين منفصلين في العملية الإتصاليه ليبرز الحديث عن المرسل المتلقي في آن واحد بفضل ما وفرته تلك التكنولوجيات من تفاعلية فورية بين الأفراد ، كما أعطت مفهوما مختلفا للقائم بالاتصال من حيث الدور و المعايير.

Abstract:

One of the most important features of modern technology in the field of media and communication is the need to override the traditional binary "sender " and "receiver " as two separate components in the communication process to highlight the sender's receiver at the same, thanks to the fact that these technologies provided instant interactivity among individuals, as She gave a different concept to the operator in terms of role and standards.

1. مقدمة:

لعل الشيء البارز في نتائج وانعكاسات الثورة الاتصالية والتكنولوجية الحالية[1]، هو الجانب المتعلق بالمصطلحات الجديدة التي ظهرت، والمفاهيم التي استحدثت، بفعل ظهور أنشطة وتقنيات جديدة، حيث نجد عدة مصطلحات قد تغيرت مفاهيمها ومعانيها وفقا للمعطيات الجديدة والتطورات الحاصلة[2]فالمصطلحات تعد من أكثر الأشياء تغيرا، فهي ليست ثابتة، وتثير اختلافا ليس فقط بين مختلف الاختصاصات العلمية، ولكن حتى في التخصص الواحد[3]وقد أدت تطبيقات الانترنت وصحافة المواطن بالخصوص إلى تغيير عدة مفاهيم ومصطلحات كانت متداولة ولاسيما في مجال الإعلام، فغيرت كثير من"المفاهيم الإعلامية التي استقرت لسنوات طويلة عند الباحثين والأكاديميين ،كما أدت إلى تغير الأدوار التي تقوم بها عناصر العملية الاتصالية،كالقائم بالاتصال والمتلقي والرسالة والوسيلة ورجع الصدى. ولم تكتف الوسيلة الإعلامية الجديدة بالسماح لكل من المرسل والمستقبل بتبادل أدوار العملية الاتصالية ،ولكنها أحدثت ثورة نوعية في المحتوى الاتصالي المتنوع ،من نصوص إلى صور،وملفات صوتية ،ولقطات فيديو مصورة"[4]وبالتالي فقد أدت التغيرات الحاصلة على المستوى المفاهيمي والاصطلاحي لعناصر العملية الاتصالية، إلى بروز عدة مصطلحات جديدة حلت محل أخرى كانت قائمة ومتداولة، كما تغيرت مدلولات عدة مصطلحات، وأصبحت تؤدى معنى معين مرتبط بالمستحدثات التقنية الجديدة. فما المقصود حاليا–في ظل الثورة التقنية الاتصالية المعاصرة– بالجمهور، والمرسل والمستقبل؟ هل يمكن التعامل مع هذه المصطلحات بمفهومها التقليدي أم بمفهوم حديث وفقا للتغيرات الحديثة.لقد حدث من دون شك تداخل كبير بين هذه المصطلحات، أجبرنا على إعادة النظر في استعمالاتها ومعانيها. على سبيل المثال، "أدى ظهور تسمية وسائل الاتصال الجديدة (**new media**) إلى اعتبار وسائل الإعلام الأخرى كوسائل تقليدية أو قديمة (**old**). بالإضافة إلى ظهور تسمية وسائل الإعلام المندمجة (**converged**) بعد أن كانت وسائل متعددة (**multiplied**)[5].أي أنها أصبحت مجموعة من الوسائل متاحة ومجتمعة في وسيلة واحدة بعد أن كانت منفردة ومستقلة عن بعضها البعض

1. بروز مفهوم المرسل–المتلقي(**pro–sumer**):

نظرا لتغير مفهوم أهم عنصرين في العملية الاتصالية (الجمهور المستقبل والصحفي المرسل)، فقد تشكل مفهوم جديد وهو "المرسل–المستقبل".يقول الكاتب "**John Seely Brown**":

الجمهور لم يعد مستهلكا (**consumer**) وإنما "منتجا-مستهلكا" (**pro-sumers**)، وهي كلمة مكونة من كلمتي مستهلك (**consumer**) ومنتج(**producer**)[6]. ونفس الفكرة يطرحها الباحث "**Axel Bruns** "حيث يرى أن استعمال كلمتي "مستعمل" و"منتج" قد أصبح شيئا قديما مع طبيعة استعمالات الأفراد لوسائل الإعلام الجديدة لاسيما الانترنت، ولذلك فهو يقترح دمج المصطلحين، أي الجمع بين الكلمتين "**prod**"(اختصارا لكلمة **producer**) و"**user**"، ليتشكل في الأخير مصطلح اخر وهو"**produser**" ومعناه المستعمل المنتج (للمحتوى الإعلامي)[7]كما يقدم "لويس بورشي" تسمية"المستعملون-المنتجون(**des usager-producteurs**)، فالمستعملون وضعوا حدا لصفتهم كمستهلكين عاديين، وانتقلوا إلى صف المنتجين"[8] وإن دلت هذه التسميات والمصطلحات الجديدة على شيء فإنها تدل على الديناميكية التي تتميز بها بيئة الإعلام الجديدة، بما يفرض علينا تغيير مفاهيمنا وتصوراتنا للوسائل والممارسات الإعلامية.

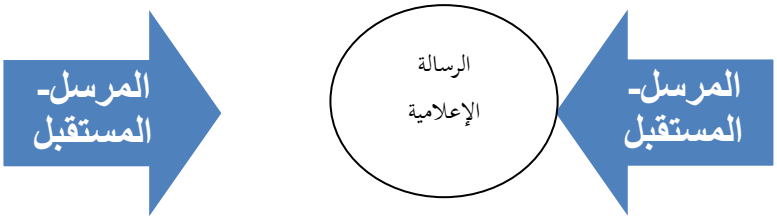

الشكل: يمثل نموذج الاتصال ثنائي الاتجاه

2. بروز ثنائية القارئ/ الكاتب:

طُرِحَت فكرة العلاقة القائمة بين الكاتب وقارئه لدى كثير من الكتاب والباحثين، والتي تتحدث عن تعامل المتلقي مع المضمون المكتوب، ودوره في بنائه وتعديله.وقد "تكفلت الدراسات الأدبية بصياغة إشكالية القارئ والتلقي في الستينيات" على يد مدرسة كونستونس(**constance**)، والباحث "هانس روبرت جوس" و"ولفغونغ إيزر"، وحسب هؤلاء فالجمهور "يعتبر الشريك الضروري للعمل الأدبي"، ويقصد بالتلقي "التجسيدات المتتابعة للعمل الأدبي، وعلاقة الحوار بين النص والقارئ الذي يحرر في كل مرحلة القدرات الدلالية والفنية للعمل الأدبي"."لقد أشار الفيلسوف جان بول سارتر في كتابه المعنون "ما هو الأدب" إلى هذا الجهد المشترك بين الكاتب والقارئ الذي يبرز هذا الهدف الملموس المخيالي ممثلا في العمل الأدبي، ويذكر الباحثون الذين اهتموا بمشاكل الاتصال الأدبي ومنهم روبير إسكاربي(**robert**

escarpit) أفكار "سارتر" الذي يرى أن العمل الأدبي هو نتيجة نشاط الكاتب والقارئ. كما أشار "أمبرتو إيكو" في كتابه "العمل الأدبي المفتوح" مسألة الإبداع الذي يشترك فيه كل من القارئ والمتلقي"[9]كما يشير عبد الله الغذامي[10]، إلى علاقة القارئ بالنص، فهو يتسائل هل القارئ مستهلك للنص أو هو منتج له؟.

وإذا كانت هذه النقاشات والأفكار قد طرحت في عصر سابق، لم تكن فيه وسائل الاتصال قد عرفت ما تشهده حاليا من تطور، فإننا اليوم نجد أن هذه الأفكار قد تجسدت بالفعل، فأصبحنا نتكلم عن القارئ/الكاتب والقارئ/الصحفي، وذلك بفضل تطبيقات الاتصال الجديدة، التي مكنت المستعمل من التحكم في المضامين وتعديلها وتغييرها، وحتى إنتاج هذه المضامين بشكل مستقل ونشرها ليطلع عليها الآخرون. يقول الكاتب "إيمانويل صوشيي": "إن الكتابة الالكترونية غيرت وضع الكاتب وبدلت مفهوم فعل الكتابة، فكل مستعمل هو كاتب محتمل، وكل نص أصبح مادة قابلة للتصرف من طرف أي فرد"[11]ولذلك يشير الدكتور "مصطفى الضبع" إلى تحول طبيعة النص صاحبها تحول في طبيعة القارئ وفي كيفية القراءة والتفاعل مع هذا النص[12].وهو ما حدث بالفعل مع تقنيات الاتصال الجديدة، التي أفرزت بيئة انتهى فيها دور الكاتب كمرسل، "كما انتهى دور الإخبار، وتحول المتلقي إلى قارئ منتج للنص في الوقت نفسه"[13]، فمع تقنية الواب المقروء المكتوب في نفس الوقت (**read write web**) أصبح بمقدور أي فرد أن ينشر مادة إعلامية مكتوبة أو مصورة، دون امتلاك مهارات إعلامية كثيرة. فاليوم "يتلاقى الكاتب والقارئ في فضاء من الصناعة الكتابية من دون حدود.ويعتبر انقلاب السلطات أو تبادلها بينهما من أرقى الأدوار التي تلعبها الصحافة الالكترونية، إذ يغدو المتلقي "ساكنا" حيا يتعامل مع الطبعة الإعلامية وكأنها وسيلته الإعلامية الخاصة (هذا إن لم يكن له وسيلته الخاصة بعد) تمنحه سلطات جديدة يستطيع أن يمارسها عن طريق اشتراكه بالتحرير أو بالانتقاد، أو بإضافة الأفكار، أي يصبح "فاعلا ومنفعلا ومرسلا جديدا يقلق المرسل الأساسي، ويكمله أو يدحضه"[14]

ولكن رغم ما تقدمه خاصية التفاعلية للقارئ والمتلقي، من القدرة على إنتاج المضمون ونشره وإرساله، إلا أنه لا يمكن أن يكتسب كل سمات ومهارات الكاتب أو الصحفي المحترف؛ كما يقول الكاتب " **Jean Caune** ":إن تكنولوجيات الاتصال لا تؤدي بالضرورة– بفعل خاصيتها التفاعلية– إلى نفي الفروقات الموجودة بين الكاتب والمتلقي"[15]فرغم تبادل الأدوار أو قيام الفرد والجمهور بتقمص

شخصية الصحفي والكاتب وتبني ممارساتهم عبر تقنيات الانترنت الإعلامية (صحافة الكترونية، مدونات، منتديات...)، والقيام بفعل الكتابة وبممارسة الصحافة، فإن هذا لا يمكن بتاتا أن ينفي ويلغي الفروقات والاختلافات الكامنة بين القارئ والكاتب، بين الصحفي والمتلقي. وهذا لا يعني أن نتغافل عن النماذج الكثيرة التي بينت أن المستعمل أو الجمهور بإمكانه أن يمتلك مهارات تفوق أحيانا تلك التي يملكها الصحفيون والكتاب، على سبيل المثال موسوعة "ويكيبيديا" اليوم أصبحت تنافس موسوعات قائمة بذاتها رغم أن المشاركين فيها هم أفراد غير محترفين.مما يجعلنا نقر أن قارئ اليوم يرفض أن يبقى قارئا فقط، ويصر على أن يكون قارئا/كاتبا في نفس الوقت، أو على الأقل قارئا متفاعلا مع النص أو المضمون.

3. تبادل الأدوار بين المرسل والمستقبل:

كما قلنا سابقا، من بين الجوانب الهامة المترتبة عن التطورات الحديثة في تكنولوجيات الاتصال، هو التحول الحاصل في أهم عنصرين من عناصر العملية الاتصالية ألا و هما المرسل أو ما يسمى بالقائم بالاتصال، والمستقبل، فقد حدث تغير جذري في مهام كل واحد منهما، و أصبح الجمهور الذي كان يستقبل الرسائل المضامين الإعلامية يشارك بشكل أساسي و فعال في صناعتها و بثها، فلم يعد فقط يستعمل وسائل الإعلام لاستهلاك مضامينها و رسائلها، بل تعدى الأمر إلى المشاركة الفعلية في بناء هذا المضمون و بكل حرية، و لذلك فان ما يميز هذا الجمهور أنه يستعمل وسائل الإعلام و يتعرض لها في نفس الوقت الذي يساهم في محتواها، كما أنه يملك هامش من الحرية أكبر بكثير من الصحفيين التقليديين، فكم من الأفراد (سياسيين، مثقفين، معارضين،...) قاموا بنشر مقالات و مذكرات و كتب و أفلام، روبورتاجات و صور على شبكة الانترنت كانت ممنوعة من النشر في الوسائل الأخرى، و حتى الصحفيون أنفسهم أصبح معظمهم يملك منتدى أو مدونة الكترونية، و إن لم يكن يملك فإنه يكتب و يساهم في المدونات الأخرى، نظرا لما توفره من حرية تعبير قد لا يجدونها في وسائل الإعلام الأخرى.

و قد أدى الانتشار الواسع لوسائل و تقنيات الاتصال الحديثة لدى شرائح واسعة من المجتمع و سهولة استعمالها من طرف الأشخاص، (على غرار الهواتف المحمولة و الكامرات...) إلى قيام المواطنين و أفراد الجمهور بصناعة مواد و مضامين إعلامية بسهولة تامة، و دون أن يكونوا متخصصين، كانت في الكثير من الأحيان تنافس و تضاهي مضامين الوسائل الإعلامية التقليدية، فرغم أن هؤلاء الهواة لا

يملكون شهادات في الميدان الصحفي، إلا أنهم يملكون مهارات و قدرات اكتسبوها سواء بالممارسة أو التعلم الذاتي، تسمح لهم بمنافسة صحفيين محترفين.

و عليه فقد "انتهى دور الكاتب مرسلا، كما انتهى دور الإخبار، و تحول المتلقي إلى قارئ منتج للنص في الوقت نفسه"[16] و لم يعد الجمهور يستقبل الرسائل و المضامين الإعلامية بشكل سلبي، دون أن يضفي مساهمته و تعليقه و انطباعه.

يقول الكاتب "نسيم الخوري": "يتلاقى الكاتب و القارئ في فضاء من الصناعة الكتابية من دون حدود.و يعتبر انقلاب السلطات أو تبادلها بينهما من أرقى الأدوار التي تلعبها الصحافة الالكترونية، إذ يغدو المتلقي "ساكنا" حيا يتعامل مع الطبعة الإعلامية و كأنها وسيلته الإعلامية الخاصة (هذا إن لم يكن له وسيلته الخاصة بعد) تمنحه سلطات جديدة يستطيع أن يمارسها عن طريق اشتراكه بالتحرير أو بالانتقاد، أو بإضافة الأفكار، أي يصبح "فاعلا و منفعلا و مرسلا جديدا يقلق المرسل الأساسي، و يكمله أو يدحضه"[17]

و هذا ما يحدث بالفعل مع وسائل الإعلام الجديدة، و مع تطبيقات الانترنت التفاعلية، التي تمكن الفرد ليس فقط من التفاعل مع مضامين وسائل الإعلام السائدة، بل حتى امتلاك "وسيلته الخاصة" ممثلة في مدونة أو صفحة شخصية، أو صحيفة الكترونية خاصة؛ فانقلبت بذلك القاعدة، فأصبح المتلقي مرسلا، و القارئ كاتبا، و الجمهور قائما بالاتصال، و يضيف في هذا المضمار "نسيم الخوري" قائلا:"نكاد نخرج من هذه المفاهيم التقليدية للسلطات الاتصالية و تفاعلية عناصرها، و ذلك بفضل تقنيات الاتصال المعاصرة حيث انقلبت الآية، و بات العالم أسير علاقات جديدة بين الإرسال و التلقي و تجليات السلطة المعرفية و اللغوية.و نلحظ من ناحية نموا ملحوظا للتفاعل بين المرسل و المتلقي إلى حدود قد تسمح لنا بالتعديل من مصطلح المتلقي و تسميته بالمرسل الثاني...إنه المرسل و المتلقي في أن واحد"[18] إنه الصحفي و القارئ و الناشر و الموزع و المعلن، و حتى حارس البوابة الجديد.

يقول الكاتب " **Colleen Mihal** ":"لقد تغيرت العلاقات الاجتماعية في ظل ممارسة صحافة المواطن، عبر إسقاط المفاهيم التقليدية المتعلقة بمن هو مستهلك مضمون الإعلام و من هو منتجه، كما عززت قدرة الفرد في القيام بأدوار جديدة، و مكنت من لم يكونوا جزءا من عملية الإنتاج الإعلامي من المشاركة بآرائهم و تعبيرهم الخلاق[19].

و عليه تتحول طبيعة الجمهور الحالي من التلقي السلبي (**passive**) إلى طابع التشاركية (**participatory**)، حيث يستفيد الأفراد من تطبيقات الانترنت 2 لخلق محتوى، و بالتالي تطور "المضمون المنتج من طرف الجمهور" كما قامت المؤسسات الإعلامية بتوفير مواقع و تطبيقات للجمهور ليساهم فيها[20]، و هذا بهدف تبني هذه الأنماط الصحفية الجديدة، و التعايش معها بشكل يحفظ لها و لو قليلا من سلطتها التي فقدتها لصالح جمهورها النشط.

و أدى تطور تقنيات الاتصال هذه إلى قيام الجمهور بدور "الناشر و المذيع (**broadcaster**) و المحرر (**editor**) و منتج المحتوى (**content creator**) ككاتب و مصور و منتج فيديو و رسومات، و معلق (**commentator**)، و موثق (**documentarian**) و مسير للمعرفة أو مكتبي ((**librarian**) **knowledge manager**)، كاتب يوميات (**journaler**) و معلن (**advertiser**)"[21]، فوسائل الاعلام الجديدة ولاسيما شبكة الانترنت، جعلت من السهل القيام بكل هذه الوظائف بسهولة كبيرة وبتكاليف قليلة؛ خاصة وظيفة الصحفي الالكتروني، التي يمكن ممارستها عبر عدة تطبيقات على الشبكة، كالمدونات و المواقع الشخصية، و مواقع وسائل الإعلام التفاعلية، و مواقع الشبكة الاجتماعية (**social media**)، إلى غير ذلك من الخدمات الالكترونية التي جعلت الفرد المتلقي يتبنى عدة مهام ووظائف في نفس الوقت.

2. ضرورة تغيير نماذج الاتصال التقليدية:

في نهاية هذه الورقة، يمكن القول أن هناك ضرورة ملحة لتغيير نماذج الاتصال التقليدية، والتي كانت تتعامل مع الجمهور كمتلقي سلبي أو كمستهلك فقط للمضامين. ورغم أن غالبية النماذج السابقة قد أشارت إلى عنصر رد الفعل أو التغذية الرجعية، إلا أن ذلك كان ينحصر فقط في آراء الجماهير حول الرسائل المستقبلة وتأثيرها فيه. ورغم أنها أشارت كذلك إلى رد الفعل كشكل من أشكال التفاعل، إلا أنه رد فعل غير آني وغير تزامني، أما النموذج الجديد الذي نقترحه يعتبر الجمهور كمتفاعل بشكل متزامن وآني مع الرسالة ومع المرسل، وبدرجة متقدمة على ذلك، كمنتج لهذه المضامين بصفة مستقلة عن المرسل التقليدي، فهو يملك الوسيلة التي يقوم عبرها بإنتاج المحتوى ونشره وإرساله للغير.

ولهذا فإننا نقترح إجراء تعديلات على النماذج التقليدية للاتصال، من خلال إدخال بعض العناصر الأخرى، فالمرسل أصبح مرسلا–متلقيا في نفس الوقت، والمتلقي أصبح متلقيا–مرسلا في نفس

الوقت، ورجع الصدى أصبح يتوجه من طرفين أو جهتين، فأصبح هناك رجع صدى متبادل بين المرسل–المتلقي والمتلقي–المرسل.كما أنه يحصل في نفس الوقت غالبا. بالإضافة إلى أن الرسالة تغيرت طبيعتها، ففي الماضي كانت رسالة واحدة من طرف واحد، أما الآن فأصبحت رسالة تفاعلية تشاركية أي قد يشارك فيها عدة أفراد وعدة مرسلين في نفس الوقت، أي أن الإرسال أصبح جماهيريا مثلما أن الاستقبال كان جماهيريا.ولذلك فإننا نقترح النماذج والأشكال التالية لتوضيح التغيرات الحاصلة في العملية الاتصالية. الشكل الأول يوضح تطور موقع المواطن(المستعمل) في العملية الاتصالية، والثاني يمثل نموذج مقترح للعملية الاتصالية.

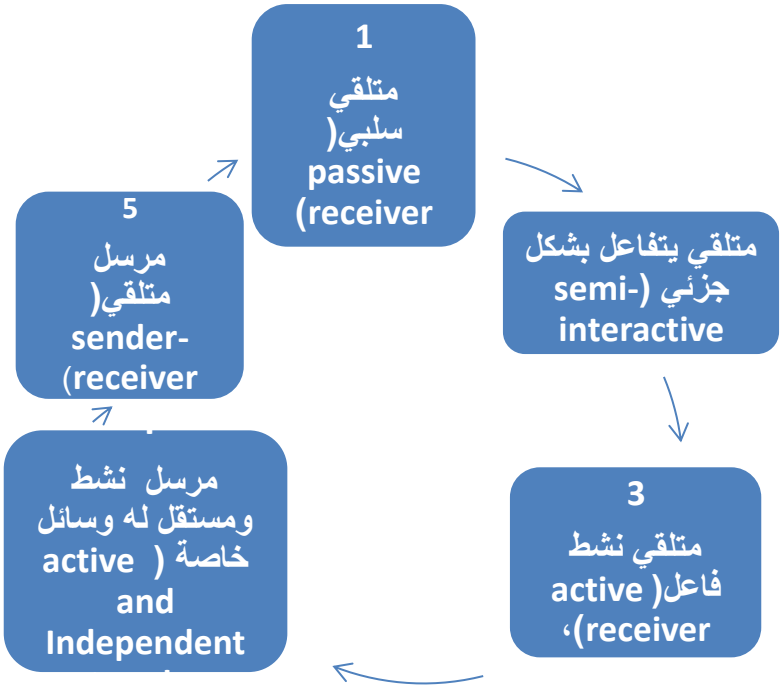

مخطط لتطور موقع المواطن(المستعمل) في العملية الاتصالي

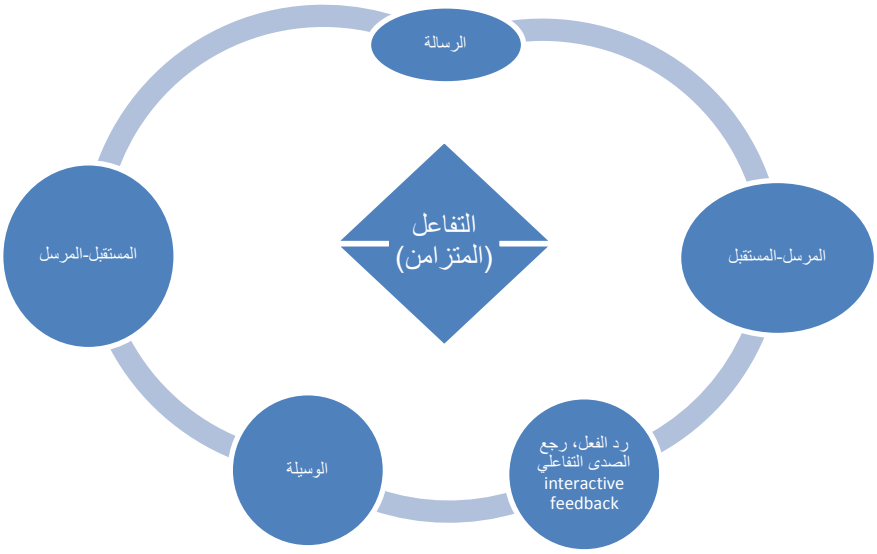

مقترح لنموذج يبين عناصر العملية الاتصالية:

قائمة المراجع :

1- Mark B. N. Hansen, *new philosophy for new media,* (Cambridge, : The MIT Press, 2004)

2- إبراهيم بعزيز،"البث التلفزيوني الفضائي وتطور تكنولوجيا الاتصال الحديثة نحو تغيير مفهوم السيادة"الملتقى الدولي الثالث:أخلاقيات الممارسة الإعلامية، بين ضوابط القانون وواقع المهنة"، المركز الجامعي خميس مليانة، 27 أكتوبر2010م، ص6.

3- Nicholas Gane, David Beer, *New media : The key concepts*, (New York : Berg, 2008),pp1-2.

4- رضاعبدالواجدأمين، مرجع سبق ذكره.

5- Wendy Hui Kyong Chun, Thomas W.Keenan, *New media, old media: a history and theory reader*, (New York: Routledge, 2006), p1

6- ibid, p9.

7- Mélanie Millette, *USAGES CONTRIBUTIFS SUR INTERNET: LE PODCASTING INDÉPENDANT ET LE SENS DE SON STYLE*, (mémoire du Master en communication), UN1VERSITÉ DU QUÉBEC, 2009, ,p29.

8- Louis porcher, *vers la dictature des medias?,* paris: hatier, 1976, p59

9- أرمان و ميشال ماتلار، **تاريخ نظريات الاتصال**، ترجمة نصر الدين العياضي، الصادق رابح، ط3، (المنظمة العربية للترجمة، لبنان، 2005م)، ص162.

10- عبد الله الغذامي، **الموقف من الحداثة ومسائل أخرى، ط.2**، (الرياض: دار البلاد، 1991م)، ص 103.

11- Emmanuel souchier:"l'ecrit d'ecran, pratiques d'ecriture et informatique", *"Communication et languages* »n° 107, (1996), p116.

12- مصطفى الضبع، "الهايبر تلقي: متلق جديد لنص مغاير"، **مجلة محاور للنقد الأدبي والدراسات الثقافية**، ع.2، 2005م.

13- نسيم الخوري، الاعلام العربي و انهيار السلطات اللغوية، سلسلة أطروحات الدكتوراه، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2005م ، ص128

14- المرجع نفسه، ص435.

15- Jean Caune, *esthétique de la communication*, paris : presses universitaire de France , 1997, p122

16- نسيم الخوري: الاعلام العربي و انهيار السلطات اللغوية، سلسلة أطروحات الدكتوراه، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2005م، ص128

17- المرجع نفسه، ص435

18- المرجع نفسه، ص 127

19- Colleen Mihal : DEMOCRACY, CITIZENS' MEDIA, AND RESISTANCE: A STUDY OF THE *NEW RIVER FREE PRESS, Master of Arts*, Department of Communication , Virginia Polytechnic Institute and State University, 2004, p30

20- Paul Norris, Brian Pauling : THE DIGITAL FUTURE AND PUBLIC BROADCASTING, A research report, new zealand broadcasting school, November 2008, p9

21- Shayne Bowman , Chris Willis : *We media, How audiences are shaping the future of news and information*, USA :The Media Center at The American Press Institute, 2003, p38